مدونة تعنى بنشر الكتابات التخصصية لبراعة الحوزة العلمية الشريفة
قلم الحوزة العلمية الشريفة
Ketabat.org

دراسة في

السَيْر المعنوي في الأطروحة المهدوية

السيد محمود الموسوي

مدخل تأسيسي

حقيقة الجانب المعنوي:

إن الإنسان يعيش بين انجذاب إلى الروح وانشداد إلى المادة، فكما أن هنالك جانباً مادياً محسوساً بالحواس الخمس، فكذلك هناك جانب معنوي في الإنسان، هو جانب الروح، ويمكن التعبير عن ذلك بالنفس مقابل الجسد.

وإن صلاح الإنسان في إصلاح جانبه المعنوي الروحي، كما قال ربنا عزّ وجل: {**وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا (٧) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا (٨) قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا (٩) وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا**} (سورة الشمس ٧ - ١٠). فكل فلاح الإنسان، في إصلاح نفسه، وكما أن الجسد يعيبه المرض فتظهر آثاره على صحة الإنسان، فإن الخلل المعنوي الذي يصيب النفس والقلب، يعد مرض تختل بسببه حركة الإنسان وسلوكه، كما أطلق القرآن الكريم قوله: (في قلوبهم مرض)، على ضعاف النفس ومتذبذبي العقيدة.

إن الجانب المعنوي الذي هو الإيمان، أي أن تدب روح الإيمان في نفس الإنسان، وروح الإيمان الذي يشكل شخصية الإنسان، يعتمد على الجانب المعرفي (الإيمان العقلي) بالاعتقادات الحقة، والجانب الآخر هو الجانب الأخلاقي (العملي السلوكي).

وفي حقيقة الأخلاق أنها مرشّحات وآثار عملية تظهر على جوارح الإنسان، وتتصف بها نفسه، جراء المباني المعرفية والاعتقادية التي أسّسها، فالأخلاق هي الحركة العملية للقيم في حياة الإنسان.

مقاصد الجانب المعنوي

من الضروري فهم مقاصد المبحث المعنوي، أي أهدافه وغايته الشريفة المتوخاة منه، وبعبارة أخرى، وعي رسالية البعد المعنوي في حياة الإنسان، لأن لكل تأسيس ديني (فكرة أو حكم) له حكمة في الحياة، وأن إهمال جانب المقاصد أو الحِكَم من المباحث، يمكن أن يضيّعها، أو يحرفها عن مساراها الصحيح وغاياتها المقرّرة.

فهنالك من أغفل بعد المقاصد، كما (صرّح بعض الحكماء، بأن غاية المراتب للسعادة أن يتشبّه الإنسان في صفاته بالمبدأ: بأن يصدر عنه الجميل لكونه جميلاً، لا لغرض آخر من جلب منفعة، أو دفع مضرة، وإنما يتحقق ذلك إذا صارت حقيقته المعبر عنها بالعقل الإلهي والنفس الناطقة خيراً محضاً... وحينئذ يكن له أسوة حسنة بالله سبحانه، في صدور الأفعال وتصير إلهية أي شبيهة بأفعال الله سبحانه)[1]، وقد علّق على هذا القول الشيخ النراقي بقوله: (وأنت خبير بأن هذا التصريح محل تأمل لمخالفته ظواهر الشرع، فتأمل).

---

[1] - جامع السعادات، النراقي، ج١، ص٧٤

فالتأمل في إلغاء المقصد هو مزج الفاعل بالفعل والصانع بالمصنوع، وبالتالي هي في الحقيقة خلط في معادلة العابد والمعبود، وهذا مخالف لأسس الشرع الذي يقرر المباينة التامة بين الخالق والمخلوق، والمعبود والعابد. إن موضوع الجانب المعنوي هو العبد باعتباره عابداً لخالقه مؤمناً به.

فالإنسان في سيره المعنوي وطريقه إلى الله لابد أن تتحقق من خلاله أهداف ما، فقد يؤخذ للمقاصد الإلهية، وقد يؤخذ للمقاصد الشيطانية، فالإنسان الذي خُلق وفق قانون الحكمة لا ينبغي أن يظن أنه يُترك دون هدف ومسؤولية، لقد قال تعالى {**أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى. أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَى. ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى. فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى. أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى**}. (سورة القيامة ٣٦ - ٤٠)

مقاصد الجانب المعنوي تتمثل في حقيقة الإيمان[٢] وما يضفيه على الإنسان من استقامة وهداية، أي أنه يمثل العلاقة الآمنة التي يدخلها الإنسان في رعاية مصدر الأمان، وهو الله عز وجل.

وفي معنى الإيمان هذا، يقول المرجع المدرسي: (إن مفهوم مصطلح الأمان الذي نحن بصدده، ليس بمعنى إعطاء الأمان، بل إنه مشتق ومأخوذ من مادة (آمن) بمعنى (سلّم) فتارة

---

[٢] - مأخوذة من أصل الغاية من الخلق، (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون)، حيث خلق الإنسان للعبادة، والعبادة هي وسيلة للوصول إلى التقوى (لعلكم تتقون)، والتقوى لها نتائج عديدة ذكرت في القرآن الكريم، والجامع لها هي تلقي الرحمة الإلهية. (ولذلك خلقهم). فالإيمان والتقوى هو هدف من الجانب المعنوي، وصولاً للرحمة الإلهية في الدنيا والآخرة.

الإنسان يعطي الأمان لأحدهم، وتارة أخرى يأخذ الأمان من أحدهم، ولكن من يسلم بشيء فإنه يكون قد وضع نفسه تحت أمان ذلك الشيء.

فالإيمان بشيء يعني إضفاء حالة الأمان عليه.

ثم يقول السيد المدرسي: (ويبدو لي أن حقيقة مفهوم كلمة (آمن) تعني إيجاد حالة التسليم في قلب العبد، فهو يعطي الأمان لنفسه حينما يذعن ويقبل حقيقة ما آمن به، كما أن تلك الحقيقة في أمان من احتمال الرفض والتشكيك.

وعلينا أن ندقّق في الجذر اللغوي لكلمة (الإيمان) بشكل أعمق، حتى نكتشف مدى ظلال هذه الكلمة.

إننا نجد أن كلمة (المؤمن) تُنسب إلى الله في القرآن الكريم حيث نقرأ في الآية ٢٣ من سورة الحشر: (**هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ...**) وهنا يختلف معنى الكلمة عما إذا نسبت إلى العبد: (**وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ**)، فالله المؤمن يعني: أن الله يعطي لعباده الأمان، أما في جانب العبد فتعني كلمة (المؤمن) أن العبد يستظل بأمان الله بعد أن يسلّم أمره له)[٣].

---

٣ - جهاد النفس، السيد المدرسي، ص١٣١

فالإيمان هو العلاقة المعنوية الآمنة بين الإنسان وبين خالقه، وبينه وبين الأشياء، وإن أصاب هذه العلاقة الخلل، فسيترتب عليه الفساد في (النفس والكون)، ولهذا نجد أن القرآن الكريم، يعبّر عن اتباع الهوى وهو الحالة المعنوية غير الآمنة والمناقضة للإيمان، بأنه يفسد، {**وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ**} (سورة المؤمنون ٧١) (ومن فيهن إشارة للنظام الاجتماعي).

وهكذا فإن اتباع الهوى يهدم الغاية من الإيمان، كما قال تعالى: {**فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللهِ إِنَّ اللهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ**}. (سورة القصص ٥٠)

فاتباع الهوى يمنع من الاستجابة للرسول (ص)، والاستجابة للرسول تعني الحياة الطيبة في الدنيا، والفلاح في الآخرة، وهي مقاصد الإيمان التي يحققها الدين من خلال صلاح النفس الإنسانية، قال تعالى: {**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ**} (سورة الأنفال ٢٤)

"لأن الإيمان الحق هو الخروج من سجن الذات إلى رحاب الحق، ومن معيارية الهوى إلى معيارية الحق والهدى". التشريع ج٤ ص ١٨

هذه المعالم العامة للخارطة القرآنية للأطروحة المعنوية، التي ينبغي أن يؤسس عليها المنهج كي يكون سليماً ومحققاً الرؤية الإسلامية المتكاملة في بناء الإنسان وبناء علاقاته بعقيدته وبعباداته وبكل شيء حوله.

المنهج السليم للسير المعنوي

عندما نؤسس للغاية من الإعداد المعنوي أو الروحي، المتمثلة في الإيمان (والذي سمي بالسير والسلوك إلى الله، في بعض الأدبيات)، فالمرحلة التي تليها في الأهمية هي اتباع المنهج السليم لتحقيق هذه الغاية، فهنالك العديد من المناهج التي حاولت وضع منهج خاص لذلك، إلا أنه ينبغي أن نؤكد على أهمية أن يكون هذا الطريق سليماً ومرضياً من الله تعالى، بحيث لا يكون الإنسان منطقه كأولئك الذين قالوا عن عبادتهم للأصنام بأنها طريقهم إلى الله، {**وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَى**}. (سورة الزمر ٣)

المنهج السليم في الإعداد الروحي والمعنوي هو الذي ينبثق من نور القرآن ونور أهل البيت (عليهم السلام). فلا الرياضات القاسية التي لا تنسجم مع غاية الخلق ولا تنسجم مع طبيعة التعايش البشري، ولا النظرة القاسية التعميمية للحياة التي تلغي رحمة الله في الدنيا[٤]، ولا عبر إهمال

---

[٤] - عن أبي عبد الله (ع): قَالَ (ع): لَيْسَ مِنَّا مَنْ تَرَكَ دُنْيَاهُ لِآخِرَتِهِ وَلَا آخِرَتَهُ لِدُنْيَاهُ). معنى ترك الدنيا للآخرة هو ترك الإتيان بما يجب من تحصيل الرزق، وترك التزويج الذي هو من السنة، والرهبانية وأمثال ذلك كما فعله عاصم بن زياد أخو العلاء بن زياد

الشريعة الغرّاء أو الإيمان بمرحليتها، كمن قال (الشريعة فالطريقة، فالحقيقة) إذ الشريعة هي التي تصيغ إيمان الإنسان ابتداء وانتهاء، فلا هذا ولا ذاك يؤدي إعداداً سليماً للنفس، فالقرآن الكريم قرن الفلاح بتحقيق تزكية النفس (**قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا. وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا**)، وقرن التقوى بالعبادة، {**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**} (سورة البقرة ٢١)، فجعل الوصول إلى التقوى عبر شريعته السهلة السمحاء.

التوازن في الحياة المعنوية

ولتحقيق رؤية متوازنة للإعداد الروحي (وهو برنامج الفلاح)، أو ما يطلق عليه البعض (السير والسلوك)، ننطلق من قول الله تعالى: {**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**} (سورة المائدة ٣٥)

فهذه الآية تؤسس البرنامج المتكامل والمتوازن في إعداد الإنسان روحياً، من خلال تكاملية (التقوى)، و(اتخاذ الوسيلة)، و(الجهاد في سبيل الله). وبمعنى آخر فإن بناء الإيمان يمر عبر تحقيق ثلاثة أسس:

ونهاه أمير المؤمنين عليه السلام وزجره و قد حكى الله تعالى لنبيه قوم موسى حيث قالوا لقارون «وَ ابْتَغِ فِيما آتاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيا»، من لا يحضره الفقيه، ج٣، ص١٥٦

١- خوف الله تعالى والتزام تعاليمه.

٢- اتخاذ الوسيلة (أهل البيت (ع) كحبل ممدود بين العبد وخالقه.

٣- العمل والفاعلية الرسالية في الحياة. (ترجمة الإيمان عملياً).

التوازن في الأسس البنائية للإيمان، هو الالتزام بالأبعاد الثلاثة (التقوى) و(الوسيلة) و(الجهاد)، والإخلال بهذه المعادلة القرآنية، هو إخلال بتكوين شخصية الإنسان، وبالتالي إخلال بطريقه نحو الهدف، والالتزام بالتوازن في أسس المعادلة، هو السير والسلوك المعنوي الرسالي السليم الذي يؤدي إلى الفلاح، كما في ختام الآية (**لعلكم تفلحون**).

النهج المعنوي في العلاقة مع الإمام المهدي

العلاقة بالإمام المهدي المنتظر (عجل الله فرجه الشريف) في جانبها المعنوي لا تحيد عن المنهج الذي تم التأسيس له في بناء الجانب المعنوي للإنسان، باعتبار أن الإمام هو (الإيمان)، وحبه إيمان[٥]..

٥ - عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ (ع) فِي قَوْلِهِ (حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ): يَعْنِي أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ...). تفسير القميج٢، ص٣١٩، وفي الكافي عن أبي جعفر (حبنا إيمان وبغضنا كفر)، ج١،ص ١٨٧

فبالتالي ستأخذ الأطروحة المهدوية في بنائها المعنوي الأسس الإيمانية التي تحقق الإيمان مع الحفاظ على الهدفية، وتحقيق التوازن، ولذلك نأتي للمنحى التطبيقي، ونذكر في البدء أبعاد الارتباط الروحي بالإمام المهدي المنتظر (عجل الله فرجه) كتأسيس فكري.

أولاً: البعد الفكري

لا يمكن أن تتربى الروح إلا على أساس الإيمان بالحق، والإمام المهدي (عجل الله فرجه) هو الإيمان وهو الحق، فلابد أن يتقوّم هذا الإيمان من خلال تأسيسه على المباني السليمة، فهذا البعد بحاجة إلى أمرين:

١- **(الإيمان بالحق)** وعدم الإنكار: عن النبي (ص): **(من أنكر القائم من ولدي فقد أنكرني)**[٦]، فالإيمان بالإمام المهدي (عج) كضرورة دينية يقوم بها مستقبل البشرية الذي بشّر به القرآن الكريم، ليهيمن على الدين كله، هو أس الانطلاق بالعملية المعنوية كثابت ديني، وهو علامة الإيمان، ومسؤولية ربانية لا يمكن التخلّي عنها بحال.

---

[٦] - تاريخ الغيبة الكبرى، ج٢، ص٢٨٨،

وما يدل على ذلك أيضاً، ما جاء في الدعاء الوارد عن الإمام الصادق (ع) يقرأ في عصر الغيبة، مما يدل على أن معرفة الحجة (وهو إمام الزمان) أمر ملازم للهداية، وعدم معرفته والاعتراف به هو ضلال عن الدين، (**اللَّهُمَّ عَرِّفْنِي نَفْسَكَ فَإِنَّكَ إِنْ لَمْ تُعَرِّفْنِي نَفْسَكَ لَمْ أَعْرِفْ نَبِيَّكَ اللَّهُمَّ عَرِّفْنِي رَسُولَكَ فَإِنَّكَ إِنْ لَمْ تُعَرِّفْنِي رَسُولَكَ لَمْ أَعْرِفْ حُجَّتَكَ اللَّهُمَّ عَرِّفْنِي حُجَّتَكَ فَإِنَّكَ إِنْ لَمْ تُعَرِّفْنِي حُجَّتَكَ ضَلَلْتُ عَنْ دِينِي**)[٧].

٢- (**الاستقامة على الحق**)، والاستقامة على الحق، تعني الصبر على الإيمان بالإمام المهدي (عج) وعدم تغيير ذلك الإيمان بالفتن التي تلبس الحق بالباطل، ومن ذلك دعاوى الابتداع بادّعاء الإمامة، أو النيابة الخاصة أو البابية، أو الوزارة، أو الوصاية عنه (عجل الله فرجه) في غيبته التي تطول، وبسبب طولها يدخل الناس في تحدّي الاستقامة، ولذلك أوصى أهل البيت (ع) شيعتهم بأن يصبروا ويتمسكوا به وبالولاية، وأن لا يصدّقوا الأدعياء ولا يصدّقوا اي راية تدّعي أخذ الأوامر المباشرة بالإمام قبل ظهوره الشريف، إلا ما انحصر في ما سيكون قُبيل ظهوره الشريف بفترة زمنية وجيزة جداً وهي (راية اليماني).

وهذان البعدان (الإيمان بالحق) و(الاستقامة على الحق)، نجدهما في سورة العصر، في قوله تعالى: (**وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ**)، والصبر هو الاستقامة على الحق.

---

[٧] - الكافي، ج١، ص٣٣٧

ولذا جاء في الروايات ضرورة الثبات على الولاية في عصر الغيبة واهو أفضل الأعمال، كما عن الإمام زين العابدين (ع): (**مَنْ ثَبَتَ عَلَى مُوَالاتِنَا فِي غَيْبَةِ قَائِمِنَا أَعْطَاهُ اللَّهُ عَزَّ وجَلَّ أَجْرَ أَلْفِ شَهِيدٍ مِنْ شُهَدَاءِ بَدْرٍ وَأُحُدٍ**)[٨].

ولهذا فإن معنى الانتظار الذي نراه منسجماً مع الآيات والروايات هو الثبات على الولاية، والثبات على الإيمان بالإمام المهدي المنتظر (عج) دون شوائب. لذلك جاء في الرواية ضرورة محاربة البدع لأنها تسلب نور الإيمان: (**إِذَا ظَهَرَتِ الْبِدَعُ فَعَلَى الْعَالِمِ أَنْ يُظْهِرَ عِلْمَهُ فَإِنْ لَمْ يَفْعَلْ سُلِبَ نُورَ الْإِيمَانِ**)[٩]**.،** والتمحيص النفسي سنة إلهية جارية في الغيبة مما يتوجب الإصرار على الاستقامة وعدم الانحراف.

ففي الرواية. فقام جابر فقال يا رسول الله (ص): وللقائم من ولدك غيبة؟ قال (ص): (**أي وربي (لِيُمَحِّصَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ). يا جابر: إن هذا الأمر من أمر الله، وسر من سر الله من سِّر علّته مطوية عن عباده فإياك والشك، فإن الشك في أمر الله عز وجل كفر**)[١٠]. وفي رواية (**فينتظر خروجه المخلصون، وينكره المرتابون، ويستهزئ بذكره الجاحدون...**)[١١].

---

٨ - كمال الدين، ج١، ص٣٢٣
٩ - وسائل الشيعة، ج١٦، ص٢٧١
١٠ - المهدي في القرآن والسنة، ص٢١، السيد صادق الشيرازي، عن فرائد السمطين، ج٢ آخره. وممن أخرج الحديث ابن خلدون في مقدمته، ص٢٦٩ وغيره.
١١ - كمال الدين، ج٢، ص٣٧٨

فالبعد الفكري واستقامته اليقينية يشكل الحجر الأساس للأطروحة المعنوية في رحاب الإيمان بالإمام المهدي (عج)، ونجد هذه المعادلة في القرآن الكريم، وهي تعزيز للمعادلة المعنوية التي تحفظ الاتزان، في قول الله تعالى: (**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ**). سورة الحجرات.

حيث ذكرنا من خلال الآية المعادلة التالية: الإيمان يشكل: (التقوى)، و(الوسيلة)، و(الجهاد). وهنا يذكر أن (الإيمان) بحاجة إلى اليقين وعدم الريب، ويصدّق عملياً (بالجهاد)، والنتيجة هي (الصدق).

ثانياً: البعد السلوكي العملي (التسليم)

كما أنه لا يكفي العمل دون الإيمان، فإن الإيمان لا يكفي دون العمل والسعي، والبعد السلوكي هو في حقيقته التسليم للحق عبر اتباعه وامتثال الأوامر التي يمليها عليه، وقد قال تعالى: {**فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا**} (سورة النساء ٦٥).

وتطبيقاً لذلك حول غيبة الإمام فقد ورد عن الإمام محمد التقي (ع): (**ويكذب بها الوقاتون، ويهلك فيها المستعجلون، وينجو فيها المسلّمون**)[١٢].

وفي علاقة هذا البعد بالإمام المهدي المنتظر (عج)، يتحقق بأمرين:

١- الطاعة (عدم المعصية): طاعة الله تعالى وطاعة النبي (ص) وأهل بيته (ع)، في كل شؤون الحياة هي مظهر الإيمان، فالإيمان يصدّق بالعمل والتطبيق، ومن هنا فإن غيبة الإمام الحجة (عج) لم تُوقف العمل بتعاليم الدين، وإنما لابد أن تعززه في نفس المؤمن، باعتبار أنه ينتظر إماماً سيدخل تحت لوائه المخلصون، وتزكية النفس ضرورية عبر العبادات والابتعاد عن المعاصي والذنوب، ويعزز ذلك معرفته أن الإمام (عج) مطلع على الأعمال ويراقب صحائف شيعته.

وورد في دعاء الندبة: (**وأعنّا على تأدية حقوقه إليه والاجتهاد في طاعته واجتناب معصيته**)، وطاعته هي طاعة الدين ككل، وهي أيضا التطلع لطاعته عبر الأوامر المباشرة في المستجدات عند ظهور الشريف.

٢- الإخلاص والاجتهاد (عدم التقصير): الطاعة قد تتحوّل إلى طقوس يعتاد عليها الإنسان، وقد تكون شعاراً دون محتوى ومضمون، لذلك فإن البعد السلوكي بحاجة إلى الإخلاص والاهتمام بالمضامين، والمضامين هي روح العبادة، وروح الطاعة، وبها تؤثر العبادات على الإنسان وتصيغ

---

١٢ - كمال الدين، ج٢، ص٣٧٨

شخصيته، ليترقّى إلى مدارج الكمال الروحي، فالقرآن الكريم ذم أقواماً يؤدّون الصلاة إلا أنهم لا يبالون بها **(فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ. الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ)**، ولذا فإن الاستخفاف بالصلاة يحرم الإنسان من شفاعة أهل البيت (ع)، وهم الذين قالوا: **(إِنَّهُ لَا يَنَالُ شَفَاعَتَنَا مَنِ اسْتَخَفَّ بِالصَّلَاةِ)**[١٣]، وهذا يعني أنه لا ينال رضى الإمام ولا تشمله رعايته الخاصة.

وفي سورة المؤمنون أبلغ تعبير عن ضرورة تحقيق البعد السلوكي للبناء المعنوي الإيماني، في قوله تعالى:

{**قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ (١) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ (٢) وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ (٣) وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ (٤) وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ (٥) إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ (٦) فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ (٧) وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ (٨) وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ (٩) أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ (١٠) الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (١١)**}. (سورة المؤمنون ١ - ١١)

ولذلك فإن نيل رعاية الإمام المهدي (عج) والتوفيق للدخول تحت دعائه المستجاب، ينبغي على المؤمن أن يحقق في نفسه الطاعة لله تعالى وللإمام المفترض طاعته عليه (وخصوصاً إمام زمانه) الذي هو تحت نظره، ولذا جاء في التوقيع الشريف عن الإمام صاحب الأمر : **(لِأَنَّنَا مِنْ وَرَاءِ**

---

[١٣] - الكافي، ج٣، ص٢٧٠

حِفْظِهِمْ بِالدُّعَاءِ الَّذِي لَا يُحْجَبُ عَنْ مَلِكِ الْأَرْضِ وَ السَّمَاءِ فَلْتَطْمَئِنَّ بِذَلِكَ مِنْ أَوْلِيَائِنَا الْقُلُوبُ- وَ لْيَتَّقُوا بِالْكِفَايَةِ مِنْهُ وَإِنْ رَاعَتْهُمْ بِهِمُ الْخُطُوبُ وَالْعَاقِبَةُ بِجَمِيلِ صُنْعِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ تَكُونُ حَمِيدَةً لَهُمْ مَا اجْتَنَبُوا الْمَنْهِيَّ عَنْهُ مِنَ الذُّنُوب)[١٤].

ثالثاً: البعد النفسي والتعلّق القلبي

البعد الثالث الذي يحقق الأطروحة المعنوية في العلاقة بالإمام المهدي (عج) هو الاهتمام النفسي والتعلّق القلبي الدائم بالإمام (عج)، بحيث يعيش المؤمن حضوراً حقيقياً مع الإمام، ويُشعر نفسه باقتراب موعد ظهوره، فيردد (**إنهم يرونه بعيداً ونراه قريباً**).

ويحقق هذا البعد قرآنياً بقوله تعالى: **{فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا}** (سورة البقرة ٢٠٠)، إذ لا يكفي أن يؤدي الإنسان مناسكه وعباداته المفترضة عليه، وإذا أنهاها كأنما خرج من ألطافها المعنوية، منتقلاً إلى حياة مغايرة تماماً خالية من الذكر، بل لابد أن ترافقه الحالة في كل منحنيات حياته، ولذلك فإن ذكر الله في السوق أمر ينقل المرء من دائرة الغافلين إلى دائرة الذاكرين، وقد ورد عن الإمام الصادق (ع): (**من ذكر الله عزّ و جلّ فى الأسواق غفر له بعدد أهلها**) وهو حضور لله تعالى ولتعاليمه في الحياة، وهو تعلق نفسي بالله في كل مفاصل الحياة.

---

[١٤] - المزار، الشيخ المفيد، ص١٠

وفي العلاقة مع الإمام المهدي المنتظر (عج) على النفس أن تتعلّق به تعلّقاً كبيراً، كما يعبّر عند قراءة دعاء الندبة عن هذا الإحساس النفسي: (**عَزِيزٌ عَلَيَّ أَنْ أَرَى الْخَلْقَ وَلَا تُرَى، وَلَا أَسْمَعُ لَكَ حَسِيساً وَلَا نَجْوَى، عَزِيزٌ عَلَيَّ أَنْ لَا تُحِيطَ بِي دُونَكَ الْبَلْوَى، [تُحِيطَ بِكَ دُونِيَ الْبَلْوَى] وَلَا يَنَالَكَ مِنِّي ضَجِيجٌ وَلَا شَكْوَى، بِنَفْسِي أَنْتَ مِنْ مُغَيَّبٍ لَمْ يَخْلُ مِنَّا، بِنَفْسِي أَنْتَ مِنْ نَازِحٍ مَا يَنْزَحُ [نَزَحَ] عَنَّا، بِنَفْسِي أَنْتَ أُمْنِيَّةُ شَائِقٍ تَمَنَّى [يَتَمَنَّى] مِنْ مُؤْمِنٍ وَمُؤْمِنَةٍ ذَكَرَا فَحَنَّا، بِنَفْسِي أَنْتَ مِنْ عَقِيدِ عِزٍّ لَا يُسَامَى، بِنَفْسِي أَنْتَ مِنْ أَثِيلِ مَجْدٍ لَا يُحَازَى، [يُجَازَى] [يُحَاذِي] بِنَفْسِي أَنْتَ مِنْ تِلَادِ نِعَمٍ لَا تُضَاهَى...**)[١٥].

ولقد ورد عن سدير الصيرفي أنه رأى الإمام الصادق (ع) حزيناً وهو يبكي بكاء الثكلى ذات الكبد الحرّى على غيبة الإمام وما يجري على الشيعة في غيبته[١٦].

وفي الكافي عن أبي عبد الله (ع): (**نَفَسُ الْمَهْمُومِ لَنَا الْمُغْتَمِّ لِظُلْمِنَا تَسْبِيحٌ وَهَمُّهُ لِأَمْرِنَا عِبَادَةٌ**)[١٧].

---

[١٥] - إقبال الأعمال، السيد ابن طاوس، ج١، ص٢٩٨
[١٦] - عن كمال الدين، ص٣٥٤
[١٧] - الكافي، ج٢، ص٢٢٦

البرنامج العملي للارتباط المعنوي بالإمام المهدي

لقد وضع أهل البيت (ع) برنامجاً عملياً لعروج الروح في علاقتها بالإمام المهدي المنتظر (عج) بما يتناسب مع عصر الغيبة الذي فرض على المؤمنين فيه وضعاً استثنائياً، وهذا البرنامج معتمد في صياغته على مبادئ التأسيس المعنوي لشخصية الإنسان وفق المباني الوحيانية (القرآن والعترة).

ولضمان علاقة معنوية سليمة بالإمام المهدي (عج)، ولعروج الروح في ظل رعاية الإمام (عج)، لابد أن نذكر المفردات العملية التي يمكن أن تكون برنامجاً أدائياً للمؤمن، وهي مستلة من الروايات الشريفة، ومحققة للانتفاع بالإمام حال غيبته، والتي أكدها النبي (ص)، فيما رواه الصدوق بسنده عن جابر الجعفي، عَنْ جَابِرِ الْأَنْصَارِيِ أَنَّهُ سَأَلَ النَّبِيَّ (ص): هَلْ يَنْتَفِعُ الشِّيعَةُ بِالْقَائِمِ (ع) فِي غَيْبَتِهِ؟ فَقَالَ (ص): **إِي وَالَّذِي بَعَثَنِي بِالنُّبُوَّةِ إِنَّهُمْ لَيَنْتَفِعُونَ بِهِ وَيَسْتَضِيئُونَ بِنُورِ وَلَايَتِهِ فِي غَيْبَتِهِ، كَانْتِفَاعِ النَّاسِ بِالشَّمْسِ وَإِنْ جَلَّلَهَا السَّحَابُ**[١٨]). وكما أكد ذلك الإمام الصادق (ع) في رواية أخرى، والإمام الحجة (عج) في توقيعه.

ومفردات البرنامج المعنوي المتصل بالإمام المهدي (عج) هي:

---

١٨ - بحار الأنوار، ج٥٢، ص٩٣، عن كمال الدين.

١- الدعوة والتبليغ للإمام، كما قال تعالى: (**ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ**)، فالإمام هو السبيل، كما نقرأ في زيارته بالندبة: (**أين السبيل بعد السبيل**)، وقد عبر الإمام زين العابدين عن الثابتين على الولاية في زمن الغيبة وأهل العقول والفهم، للأمن من الفتن، بأنهم (**المخلصون حقاً، وشيعتنا صدقاً، والدعاة إلى دين الله سراً وجهراً**)[١٩].

٢- زيارة الإمام (عج)، فالزيارة هي المنسك العبادي الذي يربط بين المؤمن وبين الإمام، وهي علاقة تواصل إيماني وروحي وتربوي ورسالي مع الإمام، وقد وردت زيارته (بالندبة) في الأعياد الأربعة (عيد الفطر، والأضحى، والغدير، والجمعة). وزيارة (آل ياسين) الواردة عن الناحية المقدّسة، حيث قال الإمام المهدي (عج): (**... إذا أردتم التوجه بنا إلى الله وإلينا، فقولوا كما قال تعالى: سلام على آل يس، السلام عليك يا داعي الله ورباني آياته..**)[٢٠].

وما يزار به كل يوم بعد صلاة الفجر من دعاء (**الله بلّغ مولاي صاحب الزمان صلوات الله عليه عن جميع المؤمنين، والمؤمنات، في مشارق الأرض ومغاربها، وبرها وبحرها..**)[٢١]. والزيارة الجامعة، وهذا يشكل استدامة لذكر الإمام، وانسجام نفسي تام مع الإمام وإفاضاته الروحية، وتماهي مع مواقف الإمام تجاه القوى المختلفة، بل وفي التعلّق بالله عز وجل وتزكية النفس.

---

[١٩] - عن الإمام المهدي الغيب الشاهد، محمود الموسوي، ص١٤، عن البحار، ج٥٢، ص١٢٢
[٢٠] - الاحتجاج، ج٢، ص ٣١٦
[٢١] - المزار، لابن المشهدي، ص ٦٦٢

٣- التوسل والاستغاثة بالإمام، (الزيارة فيها توسل) وقد ورد أيضاً الاستغاثة بالإمام (صلاة)، ومنها تقديم الإمام لقبول الدعاء، فبه تقبل الأعمال، كما في الندبة: (**وَاجْعَلْ صَلَاتَنَا بِهِ مَقْبُولَةً، وَذُنُوبَنَا بِهِ مَغْفُورَةً، وَدُعَاءَنَا بِهِ مُسْتَجَاباً. وَاجْعَلْ أَرْزَاقَنَا بِهِ مَبْسُوطَةً، وَهُمُومَنَا بِهِ مَكْفِيَّةً، وَحَوَائِجَنَا بِهِ مَقْضِيَّةً،**)[٢٢].

٤- الدعاء بتعجيل الفرج، إن ظهور الإمام (عج) بيد الله تعالى، ولكن المؤمن يدعوا الله أن يعجّل بالفرج بالظهور، والدعاء مؤثر بحسب الاعتبارات والشروط، كما أن الدعاء عبادة كما نص القرآن، وهو يزيد في ارتباط الإنسان بالإمام والتعلّق به، ولأن فرجه فيه فرج المؤمنين، فينبغي أن يدعون الله بهذا الخير.

في التوقيع الشريف عن صاحب الزمان (عج): خرجت على يد محمد بن عثمان، قوله: (**أَكْثِرُوا الدُّعَاءَ بِتَعْجِيلِ الْفَرَجِ فَإِنَّ ذَلِكَ فَرَجُكُم**)[٢٣].

٥- الدعاء للإمام (عج)، فمن واجب المؤمن أن يدعوا لما فيه الخير للإمام، وما يدفع عنه الشر، لأن الإمام في غيبته (خائف يترقب)، فقد ورد عن الإمام الرضا (ع) أنه كان يأمر للقائم بهذا الدعاء: **(اللَّهُمَ ادْفَعْ عَنْ وَلِيِّكَ وَخَلِيفَتِكَ وَحُجَّتِكَ عَلَى خَلْقِكَ وَلِسَانِكَ الْمُعَبِّرِ عَنْكَ بِإِذْنِكَ، النَّاطِقِ بِحِكْمَتِكَ**

---

[٢٢] - المزار الكبير، لابن المشهدي، ص ٥٨٤
[٢٣] - كمال الدين، ج٢، ص٤٨٥

مدونة تعنى بنشر الكتابات التخصصية لبراعة الحوزة العلمية الشريفة
قلم الحوزة العلمية الشريفة
Ketabat.org

وَعَيْنِكَ النَّاظِرَةِ عَلَى بَرِيَّتِكَ وَشَاهِدِكَ عَلَى عِبَادِكَ، الْجَحْجَاحِ الْمُجَاهِدِ الْعَائِذِ بِكَ عِنْدَكَ وَأَعِذْهُ مِنْ شَرِّ جَمِيعِ مَا خَلَقْتَ وَ بَرَأْتَ وَأَنْشَأْتَ وَصَوَّرْتَ وَاحْفَظْهُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ وَعَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ وَمِنْ فَوْقِهِ وَمِنْ تَحْتِهِ بِحِفْظِكَ الَّذِي لَا يَضِيعُ مَنْ حَفِظْتَهُ بِهِ وَاحْفَظْ فِيهِ رَسُولَكَ وَآبَاءَهُ أَئِمَّتَكَ وَدَعَائِمَ دِينِكَ وَاجْعَلْهُ فِي وَدِيعَتِكَ الَّتِي لَا تَضِيعُ وَفِي جِوَارِكَ الَّذِي لَا يُحْقَرُ وَفِي مَنْعِكَ وَعِزِّكَ الَّذِي لَا يُقْهَرُ وَآمِنْهُ بِأَمَانِكَ الْوَثِيقِ الَّذِي لَا يُخْذَلُ مَنْ آمَنْتَهُ بِهِ وَاجْعَلْهُ فِي كَنَفِكَ الَّذِي لَا يُرَامُ مَنْ كَانَ فِيهِ وَأَيِّدْهُ وَانْصُرْهُ بِنَصْرِكَ الْعَزِيزِ وَأَيِّدْهُ بِجُنْدِكَ الْغَالِبِ وَقَوِّهِ بِقُوَّتِكَ[٢٤]).

والدعاء له بما ورد في قنوت يوم الجمعة عن الإمام الرضا (ع): (**اللهم أصلح عبدك وخليفتك بما اصلحت به أنبيائك ورسلك، وحفّه بملائكتك، وأيّده بروح القدس من عندك، وأسلكه من بين يديه ومن خلفه رصداً يحفظونه من كل سوء، وأبدله بعد خوفه أمناً، يعبدك لا يشرك بك شيئاً...**)[٢٥].

وكذلك دعاء (**اللهم كن لوليك الحجة ...).** الذي ورد في البلد الأمين ص١٤٥ وص ٢٠٣ وص ٣٥٩ والإقبال ص٨٥ ومصباح الكفعمي ص ١٤٦ وص٥٨٦ وص٦٣٠

فإن الدعاء للغير من شأنه أن يقرّب قلب المدعو له للداعي.

---

٢٤ - جمال الأسبوع بكمال العمل المشروع، ص: ٥٠٨

٢٥ - جمال الأسبوع، ص ٢٥٦

٦- المداومة على الدعاء بالثبات على الدين والتقوى وخلوص الأعمال، بالأدعية الواردة عن أهل البيت (ع)، ومنها ما ورد عن الإمام الصادق (ع): **(يا الله يا رحمن، يا رحيم، يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك)**[٢٦]. لأن الإنسان بحاجة ماسة لتسديد الله وتوفيقه في الثبات على الولاية وانتظار الفرج.

٧- إهداء الأعمال الصالحة للإمام، وأداؤها نيابة عنه (عجل الله فرجه)، فكما قرر في الشريعة أنه يجوز إهداء الأعمال المندوبة للأحياء، وإهداء العمل له لا لحاجته له، وإنما لتزكية نفس الإنسان المؤمن، فيصلي نيابة عن الإمام، ويحج نيابة عنه، ويتصدّق نيابة عنه ودفعاً للبلاء عنه، كل ذلك دليل على أن المؤمن يهمه أمر إمامه، ويعزز العلاقة بينه وبينه بالعبادات والأعمال الصالحة.

ففي الكافي عن الحسن بن مياح عن أبيه قال: قال لي أبو عبد الله (ع)**: يا مياح درهم يوصل به الإمام أعظم وزناً من أحد)**[٢٧].

وعن أبي عبد الله **(من زعم أن الإمام يحتاج إلى ما في أيدي الناس فهو كافر، إنما الناس يحتاجون أن يقبل منهم الإمام، قال الله عز وجل: (خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا)**[٢٨].

---

[٢٦] - كمال الدين، ج٢، ص٣٥٢
[٢٧] - الكافي، ج١، ص٥٣٧
[٢٨] - الكافي، ج١، ص٥٣٧

وأما جهة صرف المال في عصر الغيبة فـ (يصرف المؤمن ذلك المال الذي جعله صلة وهدية له (ع) في موارد فيها رضاه، كأن ينفقها على الصالحين الموالين له (ع)، فقد ورد في البحار نقلاً عن (كامل الزيارات) أن الإمام موسى بن جعفر (ع) قال: (**من لم يقدر على صلتنا فليصل صالحي موالينا يكتب له ثواب صلتنا**)[٢٩].

٨- توطين النفس لخدمته، والعمل تحت لوائه مع أنصاره، والإعداد لذلك اليوم، فإن أشرف الأعمال هي أن يكون المؤمن في خدمة إمام زمانه، وخدمته حال غيبته هي خدمة الدين وتبليغ الدين، والدفاع عن الدين، وعن رجالات الدين، وخدمته عند ظهوره هي الامتثال لما يأمر به مباشرة من شؤون يتطلبها الواقع الراهن آنذاك[٣٠]، والقيام بشؤونه واحتياجاته.

فعن الإمام محمد التقي (ع): عن المهدي.. (**ويطاع في ظهوره**)[٣١]، وكما في دعاء العهد (والمسارعين **إليه في قضاء حوائجه والممتثلين لأوامره**)، وفي الندبة: (وأعنّا **على تأدية حقوقه إليه والاجتهاد في طاعته واجتناب معصيته، وامنن علينا برضاه**)، ولعظمة هذا الفعل نجد أن الإمام

---

[٢٩] - وظيفة الأنام في زمن غيبة الإمام (ع)، آية الله ميرزا تقي الموسوي الإصفهاني، ص١٤

[٣٠] - في الرواية عن أبي بصير عن الإمام الباقر (ع)، مفادها أن بعض من ضرب بالسيف مع الإمام ينكر حكمه فيضرب عنقه. بحار الأنوار، ج٥٢، ص٣٨٩

[٣١] - كمال الدين، ج٢، ص٣٧٧

الصادق (ع) يتمنى أن يدرك الإمام ويخدمه طيلة حياته، فقد ورد عنه (ع): **(لَوْ أَدْرَكْتُهُ لَخَدَمْتُهُ أَيَّامَ حَيَاتِي)**[٣٢].

ودعاء العهد تجديد يومي للعهد مع الإمام كي يكون من أنصاره: **(اللَّهُمَّ إِنِّي أُجَدِّدُ لَهُ فِي صَبِيحَةِ يَوْمِي هَذَا وَمَا عِشْتُ مِنْ أَيَّامِي عَهْداً وَعَقْداً وَبَيْعَةً لَهُ فِي عُنُقِي لَا أَحُولُ عَنْهَا وَلَا أَزُولُ أَبَداً اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِنْ أَنْصَارِهِ وَأَعْوَانِهِ وَالذَّابِّينَ عَنْه)**. ودعاء (العهد) هذا يقرأ في كل صباح، حيث ورد عن الإمام الصادق (ع): (**من دعا إلى الله أربعين صباحاً بهذا العهد كان من أنصار قائمنا (ع)، فإن مات قبله أخرجه الله تعالى من قبره وأعطاه بكل كلمة ألف حسنة ومحا عنه ألف سيئة**)[٣٣].

٩- الاشتياق إلى رؤيته والحزن على فراقه، (عن أمير المؤمنين(ع) بعد التعرض لجملة من صفات المهدي (ع) وأومئ بيده إلى صدره: **(هَاهْ وَأَوْمَأَ بِيَدِهِ إِلَى صَدْرِهِ شَوْقاً إِلَى رُؤْيَتِهِ.)**[٣٤].. وفي العهد: **(اللَّهُمَّ أَرِنِي الطَّلْعَةَ الرَّشِيدَةَ وَالْغُرَّةَ الْحَمِيدَةَ وَاكْحُلْ مَرَهِي بِنَظْرَةٍ مِنِّي إِلَيْهِ)**.

فعن الإمام الصادق (ع): (**والله ليغيبنّ إمامكم سنيناً من دهركم.. إلى أن قال: ولتدمعنّ عليه عيون المؤمنين**)[٣٥].

---

[٣٢] - الغيبة، للنعماني، ص٢٤٥
[٣٣] - الميزان لأبن المشهدي، ص ٦٦٣
[٣٤] - الغيبة، للنعماني، ص٢١٤
[٣٥] - كمال الدين، ج٢، ص٣٤٧